جودة التعليم داخل المنظومة التربوية في ظل معوقات تحقيق أهداف الإصلاح ومتطلباته

The quality of education within the educational system

A study of obstacles to achieve the objectives of the reform and its requirements

أ.د دبلة عبد العالي

أ.خوني وريدة / أ. حسني هنية

جامعة بسكرة

الملخص:

ينتهي الإصلاح التربوي إلى تحقيق التنمية الاجتماعية والمعرفية والبشرية فهو ليس مجرد تعديلات تتوقف عند النظام التربوي دون أن يكون عليها انعكاس ايجابي على باقي الأبنية الاجتماعية، هذا المفهوم هو تجسيد لمقاربة جودة التعليم، غير أن هذا الهدف للإصلاح التربوي في الجزائر يواجه معوقات متنوعة ذهنية وتنظيمية ومادية. فما مدى تحقق جودة التعليم في أبعاد تكوين مجتمع المعرفة، تكنولوجيا التعليم، وإنتاج رأس المال البشري.

Abstract:

The educational improvement aim to achieve social and human cognitive development. It is not just modifications that depend on the educational system without a positive reflection on the rest of social structures. This concept is an embodiment of the quality approach of education. However, this goal of educational reform in Algeria faces a variety of mental, organizational and material obstacles. The extent to which the quality of education is achieved in the dimensions of the formation of the knowledge society, the technology of education, and the production of human wealth.

مـقدمـة:

عرفت النظم التربوية موجة واسعة من النقد، ومحاولة الإصلاح، والتغيير شبه الجذري؛ نظرا لما يفرضه مفهوم العولمة أو الكوكبة، ومتطلبات النظام الدولي الجديد؛ حيث شهد العقد الأخير من القرن الماضي وبدايات القرن الحادي والعشرون تطورا سريعا في مجال المعرفة، وتكنولوجيا الاتصالات ومازال هذا التطور ينمو ويتسارع حتى يومنا هذا فأضحى العالم قرية كونية صغيرة مما كان له الأثر البالغ الواضح على كل المجالات والأصعدة؛ السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية عامة، والتربوية بصفة خاصة، ومن هنا يأتي الاهتمام بالإنسان وتربيته في مجتمعاتنا الحديثة التي تؤكد على الحفاظ على هويتنا وثقافتنا والأخذ من التقدم والمعلوماتية مما يمكن الناشئة من التعامل مع معطيات العصر.

وتعتبر هاته الرؤية الغاية الكبرى التي تسعى المدرسة كمؤسسة للتربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية لتحقيقها؛ وعليه يجب الاهتمام بتطوير وتحديث هاته المؤسسة، والعمل على التفكير الجاد في تكوين وإيجاد

مدرسة المستقبل التي تحاول أن تحقق غايات التربية في عصر التناقضات؛ حيث تسعي هاته المدرسة لبناء المتعلمين بناءا شاملا ومتكاملا، وتخريجهم وهم يملكون المعرفة العميقة والمهارة العالية، التي تتيح لهم الفرصة ليكونوا مواطنين فاعلين قادرين على الإنتاج والنجاح ومرني التغيير والتطور في القرن الجديد المتسارع التغير والتطور،وهذا يتضمن التركيز على المهارات الأساسية، والمهارات العصرية؛ وتشمل استخدام التكنولوجيا ، وتنمية مهارة التفكير وتوظيف المعلومات لحل المشكلات؛ وبالتالي إنتاج المعرفة وتنمية رأس المال البشري، أي أن المدرسة مؤسسة للتربية والتنشئة من جهة، ووسيلة وأداة لإنتاج وتنمية رأس المال البشري، والثقافي كما ينادي به **بيار بورديو** وأصحاب نظرية رأس المال البشري.

ومدرسة المستقبل كأحد لبنات التطور والتقدم في المجتمع الحديث ينبغي أن تكون من أولويات واهتمامات القائمين على تطوير وإصلاح المنظومة التربوية بصفة خاصة، ومن هنا يبرز إشكال موضوعنا والمتمثل في الاهتمام بتكوين وإيجاد مدرسة المستقبل في ظل الإصلاحات التربوية الجديدة؛ وسوف نحاول في هذه الدراسة الإجابة على هذا التساؤل التالي: هل تولى الإصلاحات التربوية الجديدة أهمية لمدرسة المستقبل؟ أو بمعنى أخر هل اهتمت الإصلاحات التربوية الأخيرة بإيجاد وتكوين مدرسة المستقبل؟

ويتفرع من هذا جملة من التساؤلات نقدمها في الأتي:

1. هل تم التفكير في إيجاد وتكوين مجتمع المعرفة في الإصلاحات التربوية الأخيرة؟
2. هل تم التفكير في إيجاد وتكوين تكنولوجيا التعليم في الإصلاحات التربوية الأخيرة؟
3. هل تم الاهتمام والتفكير في إنتاج رأس المال البشري في الإصلاحات التربوية الأخيرة؟

أولا: الاقتراب المنهجي:

تهدف دراستنا هذه إلى الإجابة على تساؤل رئيسي هو : هل تهدف الإصلاحات التربوية الجديدة ضمن نصوصها التشريعية الرسمية، إلى تكوين وإنتاج مدرسة حديثة تكون رجال المستقبل من خلال تأسيس مدرسة المستقبل؟

ويتعرف من هذا السؤال ثلاث أسئلة فرعية:

1) هل تضع المدرسة الجزائرية اكتساب وتنمية المعرفة ضمن أولويات العملية التعليمية ؟

2) هل تضع المدرسة الجزائرية التقنيات والتكنولوجيات الحديثة كأولويات ضمن برامجها الإصلاحية ؟

3) هل تسعى المدرسة الجزائرية إلى إنتاج وتنمية الرأس المال البشري كعنصر أساسي في التقدم والتطور ؟

ولفحص ودراسة هذه الأسئلة على مستوى الوثائق الرسمية لهذه الإصلاحات اتخذنا أحد أهم وآخر الوثائق التشريعية الصادرة من وزارة التربية الوطنية كعينة للتحليل والدراسة ، حيث كانت بذلك عينة دراستنا **عينة قصديه** تتمثل في :

القانون التوجيهي للتربية الوطنية :

وهذه الوثيقة عبارة عن نشرة رسمية للتربية الوطنية سميت بالقانون التوجيهي رقم: 08-04 المؤرخ في : 23 جانفي 2008 ، وهي آخر الوثائق الصادرة باسم الإصلاحات التربوية الجديدة يقصد من خلالها استكمال العدة التشريعية والتأطير المؤسساتي لإصلاح المدرسة الجزائرية ، تضمن أسس وغايات ومهام وخطط التربية في الجزائر في هذا الإصلاح [01] .

أدوات الدراسـة :

بما أن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج تحليل المحتوى (المضمون) فقد اتخذنا صنافة تحليل المحتوى كأداة أساسية للبحث والتحليل في محتوى هذه الوثيقة ، حيث اتخذنا من وحدة الفكرة ، كوحدة أساسية للتحليل كونها الوحدة الأكثر ملائمة لطبيعة الموضوع وطبيعة الوثيقة حيث نعمل على حصر مجموعة أفكار تحتويها هذه العينة ، أيضا استعنا بوحدة السياق كوحدة تحدد وتوضح المعنى والمغزى الدلالي لكل فكرة داخل كل فقرة .

ثانيا: الاقتراب النظـري:

تعد قضية التربية والتعليم من القضايا الجوهرية التي تدخل ضمن استراتجيات التنمية الشاملة والمستمرة، التي يسعى إليها الكل سواء في الدول النامية أو المتقدمة، وما تزال قضايا التعليم من القضايا المتداخلة في تفسيرها وتحليلها بصورة سطحية وسريعة من جانب صانعي السياسات والاستراتيجيات التنموية الحالية في الكثير من الدول النامية ومنها بالطبع مجتمعات الدول العربية، والتي لم تأخذ لحد الآن بزمام المبادرة والتخطيط المستقبلي القائم على استخدام الطرق العلمية المدروسة لتحديث الموارد البشرية وتنمية أجيالها وإعدادهم بصورة تهدف إلى تحقيق مكونات التنمية المستمرة.

ورغم كل هذا إلا أننا نلاحظ اهتمام المسؤولين التربويين بضرورة الإصلاح التربوي من جهة والتخطيط لمستقبل المنظومة التربوية والمدرسة من جهة أخرى؛ وهذا ما تؤكده دراستنا الحالية كما سنرى، وتأسيسا على هذا فإن دراسة تحليلية نقدية كهذه لبعض وثائق الإصلاح التربوي والمتمثلة بالخصوص في القانون التوجيهي للتربية؛ تعد أكثر من ضرورية وأساسية في وقتنا الحالي، عصر التطورات والتكنولوجيا المتسارعة، لذا كان

اهتمامنا ينصب على مدى اهتمام المسؤولين والمخططين التربويين بمدرسة المستقبل في برامج واستراتيجيات التخطيط التربوي.

ولكن قبل الانتقال إلى الجانب التطبيقي لهاته الدراسة سنحدد مفهوم المدرسة ووظائفها لننتقل إلى مفهوم مدرسة المستقبل ومنها إلى ما اصطلح عليه بأبعاد أو مؤشرات مدرسة المستقبل.

I:ماهية المدرسة:

تعتبر المدرسة مؤسسة اجتماعية أوجدها المجتمع لتحقيق أهدافه وأغراضه ,التي سطرها للوصل إلى مرتبة عالية بين مصاف الأمم والمجتمعات الأخرى.وكما يقول جون ديوي تعتبر المدرسة المنزل الثاني أو المجتمع المصغر للتلاميذ.

وسنتناول في هذا الفصل مفهوم المدرسة، ثم نتطرق إلى تطورها التاريخي ثم نعرج إلى النظريات التي تناولت دور المدرسة ثم وظائفها وبعدها نعرج إلى المدرسة الجزائرية ثم نتبحر في مكونات المدرسة أو الوسط المدرسي ,من إدارة مدرسية إلى المعلم ومنها إلى الكتاب المدرسي.

1-**مفهوم المدرسة:** تعتبر المدرسة الأداة الرسمية للتربية والتعليم ,أوجدتها المجتمعات حينما تعقدت ثقافاتها وتوسعت وتنوعت,واتسعت دائرة المعارف الإنسانية,نشأت المدارس منذ البداية لتهيئ الفرد للمعيشة في المجتمع.

وهي جزءا لا يتجزأ من المجتمع القومي فتتأثر بثقافته وقيمه ومعتقداته ومبادئه وأفكاره التي يؤمن بها، وفي نفس الوقت تؤثر هي أيضا على ثقافة المجتمع [02].

من خلال التعريف السابق يمكن إدراج عدة تعار يف ومن بينها:

يعرفها **منيشين وشبيرو Minuchin-shapir1983** :

«بأنها مؤسسة اجتماعية تعكس الثقافة وتنقلها إلى الأطفال فهي نظام اجتماعي مصغر يتعلم فيه الأطفال القواعد الأخلاقية والعادات الاجتماعية والاتجاهات وطرق بناء العلاقات مع الآخرين.» [03]

يعرفها **عصمت مطاوع:**«هي مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع، بقصد تنمية أفراده تنمية متكاملة بما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع.»

يعرفها **إميل دوركايم** :«هي تعبير امتيازي للمجتمع الذي يؤهلها بان تنقل إلى أبناءه قيما ثقافية وأخلاقية واجتماعية يعتبرها ضرورية لتشكيل الراشد وإدماجه في بيئته ووسطه.» [04]

مما سبق أن كل التعاريف تتقارب بصورة كبيرة ، وكلها تتفق على أن المدرسة مؤسسة اجتماعية أوجدها المجتمع لنقل ثقافته من جيل إلى جيل للحفاظ على كيانه وعاداته ومعتقداته وقيمه ومعاييره ومبادئه، ولتشكيل أبناءه وأفراده ليكونوا صالحين لأنفسهم ولمجتمعهم.

2- وظائف المدرسة:

تعتبر المدرسة وسيلة المجتمع الأولى في وقتنا الحالي للتنشئة الاجتماعية والسياسية، خاصة بعد التطور الذي شهده عالمنا اليوم، وتدهور واضمحلال، دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى؛فأصبح للمدرسة الدور الكبير البارز في إتمام دور المجتمع وتنشئة أبنائه وتشكيل شخصياتهم، ونقل تراثه من أجل البقاء والمحافظة على كياته ومكانته بين الأمم والمجتمعات.

من هنا نرى أن المدرسة تقوم بعدة وظائف تم تحديدها من طرف المجتمع الذي أوجدها وخطط لها الأهداف التي يريد أن يرسمها في أبنائه أو رجال المستقبل فتتمثل وظائفها في الوظيفة التعليمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، حيث تعمل على تهيئة التلميذ ومساعدتهم في إثبات وجودهم ومعرفة ذواتهم، واكتساب مجموعة من المهارات والقدرات الفنية والمهنية وتغرس فيهم تراث وقيم ومعتقدات مجتمعهم وتنشئتهم تنشئة سليمة صالحة لهم ولمجتمعهم، حيث تعمل على تحويل التلميذ من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ومفكر وناقد أيضا.

II:مدرسة المستقبل:

تلعب مدرسة المستقبل دورا كبيرا وبارزا في تشكيل شخصية الطالب من التعامل مع المتغيرات الحاصلة في شتى مناحي الحياة؛ولكي يتحقق ذلك يجب أن تتعدى دور المدرسة إلى توظيف المعلومات في تنمية مهارة التفكير بدل من تقديم المعلومات، ويجب أن لا يتوقف دورها عند تعلم المعرفة بل يتعداه إلى إعداد الفرد للمستقبل وتعليمة كيف يتعلم ويتحصل على المعرفة.

حيث أن الفرد في مدرسة المستقبل ليس في حاجة إلى المعلومات بقدر ما هو بحاجة إلى كيفية الحصول على تلك المعلومات والمعرفة الجديدة. (05)

يمكن تعريف مدرسة المستقبل على أنها تسعى لبنا المتعلمين بناءا شاملا ومتكاملا، وتخريجهم وهم يملكون المعرفة المعمقة والمهارة العالية والقيم الثابتة التي تتيح لهم الفرصة ليكونوا مواطنين فاعلين قادرين على الإنتاج والنجاح القرن الجديد. (06)

مشروع تربوي يطمح لبناء نموذج مبتكر لمدرسة حديثة متعددة المستويات تستمد رسالتها من الإيمان بأن قدرة المجتمعات على النهوض وتحقيق التنمية الشاملة معتمدة على جودة إعداد بنائها التربوي والتعليمي لذا فان المدرسة تعد المتعلمين فيها لحياة عملية ناجحة مع تركيزها على المهارات الأساسية والعصرية والعقلية بما يخدم الجانب التربوي والقيمي لدى المتعلمين،وترتكز هذه المدرسة على جملة من المرتكزات لتصل إلى ما تصبوا إليه ؛ وهي نفس المرتكزات التي تقوم عليها العملية التعليمية، المتمثلة في أربع

عناصر الطالب، المعلم والمنهج ومدير المدرسة فالكل يعمل في تكامل وتساند وظيفي من أجل هدف واحد، لذا يجب مراعاة الخصائص التي تتوفر في هاته الأركان في مدرسة المستقبل؛ فيجب أن تتوفر في الطالب الذي هو الركن الأساسي والمحوري جملة من الشروط فيجب أن يكون باحثا ومتمكنا من استخدام وامتلاك أدوات البحث، ومرن في اكتساب المعلومة وعالي التفكير، وقادرا على الاكتشاف والإبداع، دون أن ننسي الشروط التي يجب أن يتحلى بها المعلم الذي مازال حجز الزاوية في العملية التعليمية التي من بينها القدوة فيجب أن يكون القدوة في عمله وسلوكه، وأن يكون محترفا متمكنا في مهنته، بالإضافة إلى تحليه بروح التخطيط والاكتشاف والتجديد والمرونة في استخدام وسائل الاتصال والتكنولوجيا وتوظيفها بكفاءة وفاعلية في المواقف التعليمية.

بإضافة إلى الخصائص التي يجب أن تتوفر في القائد التربوي فهو القدوة لكل من الطالب والمعلم. والاهم من كل هذا هو الشروط التي تقوم عليها المناهج في مدرسة المستقبل؛ فيجب أن تشكل محورا أساسيا في مدرسة المستقبل لضمان جودة التعليم، ولابد أن تتطور هذه المناهج وطرائق تدريسها بما تسهم في تنمية شخصية الطالب الذي نريده لمواجهة تحديات العولمة والتطورات الحاصلة في المستقبل.

1- المهام الأساسية لمدرسة المستقبل:

- التزامها بتقديم برامج نوعية لإعداد الطلبة للتعلم مدى الحياة؛ من خلال تجويد التدريس، والانفتاح على المحيط حتى يكتسب المتعلم الخبرات والمهارات المختلفة ويضعها موضع التطبيق.
- اعتمادها على الوسائل العصرية والمتمثلة في الحاسوب واستخدام التكنولوجيا لوصول إلى المعلومات والمهارات العالية كالتفكير.
- العمل على توظيف المعلومات لحل المشكلات وإنتاج المعرفة. (07)

2-أبعاد مدرسة المستقبل:

تهدف مدرسة المستقبل إلى إعداد جيل قادر على مواجهة التغير المستمر في عصر المعلومات والتفجير المعرفي، لذا وجب أن تهتم بالمعرفة وإنتاج المعرفة، بالإضافة إلى استخدامها لتكنولوجيا التعليم، والعمل على إعداد رأس المال البشري؛ ومنه نحاول أن نتطرق لكن عنصر بشي من التفصيل والتحليل.

ماهية المعرفة:

المعرفة عبارة مجموعة المعاني والمعتقدات والمفاهيم والتصورات الفكرية التي لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المستمرة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به. (08)

بمعنى هي كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر مختلفة طبيعية، وبيولوجية واجتماعية وثقافية ونفسية؛ تتضمن معارف علمية وغير علمية.

وقد تتعدد وتختلف المعرفة باختلاف الأشخاص والأشياء؛ وهي بهذا تتنوع نتيجة هذا الاختلاف لنؤكد على وجود ثلاث أنواع من المعرفة.

-المعرفة بالخبرة والتي تدرك بحكم العادة أو الإدراك الحسي، وتعرف بالمعرفة الحسية التي تصلنا من خلال الملاحظة البسيطة بالإضافة إلى بساطة هدفها العملي.

-المعرفة الفلسفية هي حصيلة نشاط فكري فردي تأملي في موضوعات تتجاوز العام المادي، تعبر عن موقف خاص أو وجهة نظر شخصية غير قابلة للاختبار أو التحقق العلمي.

-المعرفة العلمية هي تلك المعرفة التي تعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر، ومحاولة تفسيرها بالكشف عن القوانين التي تحكمها والتنبؤ بمستقبلها؛ وتتميز المعرفة العلمية باستخدامها المنهج العلمي ن فهي نتيجة استخدام المنهج العلمي في البحث والتقصي، والتحليل والتفسير.[09]

ونحن من خلال هذه الدراسة نركز على النوع الأخير المتمثل في المعرفة العلمية؛ بمعنى ما مدى اهتمام المدرسة الجزائرية بالمعرفة العلمية لاكتشاف والوصول إلى المعلومات والمعارف.

تعريف إدارة المعرفة: معناها إدارة معرفة صريحة منظمة، وحيوية تعتمد على قاعدة المعرفة، كما أنها عملية يقصد منها أبداع وتنظيم واستخدام واكتشاف المعرفة. [10]

فالمعرفة تأتي من العمل وكيفية تعليمها للآخرين، وتتطلب التعلم والشرح، والتعلم يأتي عن طريق التجريب والتطبيق مما يحسن مستوى المعرفة ويعمقها.

فعلى المعلم أن يهتم بصياغة الأسئلة واختيار عبارته التي تحفز الطالب على أن يدلى بما سبق له من معرفة. وعلى الطالب أيضا أن لا يقف عند حد جمع البيانات واكتساب المعارف والمعلومات، وإنما عليه أن يتعداها ويوسع من هذه الدائرة ليخرج إلى أفق أرحب يزوده بأفاق معرفية جديدة، وأن يقوم تفكيره على الإبداع وتكوين فرضيات جديدة، والإفادة مما اكتسبه من معرفة ومحاولة توظيفه في حالات جديدة؛ فكل فرد قادر على أحداث التغير عنده، وقادر على تنمية معرفته من خلال تفاعله مع أحداث الحياة وتجاربها.[11]

-ماهية تكنولوجيا التعليم:

تعد كلمة واسعة المعنى إذ تشير إلى المؤثرات التي أحدثتها التكنولوجيا في المجتمعات ومدى انعكاساتها التربوية.

ومن خلال هذا يمكن تعريف تكنولوجيا التربية أو التعليم كما عرفها **فن FIN** "عبارة عن نظام وأنماط منتظمة وإجراءات من التحليل والبحث والتطوير لنظام التمدرس"،أما **براونBroun**1984 هي "طريقة منظمة لتصميم العملية الكاملة للتعليم والتعلم، وتنفيذها وتقويمها وفق أهداف خاصة"، أما جمعية الاتصالات الأمريكية فتعتبرها "عملية متشابكة ومتداخلة تشمل الأفراد والأشخاص والأساليب والأفكار والأدوات والتنظيمات اللازمة لتحليل المشكلات التي تدخل في جميع جوانب التعليم الإنساني، وابتكار الحلول المناسبة لها وتنفيذها وتقويم نتائجها وإدارة العمليات المتصلة بذلك." [12]

وكتعريف شامل يمكن أن نقول هي تنظيم متكامل يضم الإنسان والآلة والأفكار، والآراء وأساليب العمل والإدارة وفق نظام معين يعمل بأسلوب حل المشكلات، أو بمعنى استخدام الأسلوب العلمي المنظم في التفكير والتخطيط والعمل والتقويم والتطوير في المجال التربوي.

وظائف تكنولوجيا التربية: بإتباع الطريقة الصحيحة والدقيقة لتكنولوجيا التربية أو التعليم يوصلنا إلي نتائج ايجابية ومرضية ومن بينها:

-أن التطبيق الواعي للتكنولوجيا سوف يزيد من إنتاجية العملية التعليمية.

-المساهمة في التأكيد على أهمية الخبرة الحسية المباشرة كما يضع المتعلمين في مواقف التحفيز على التفكير واستخدام الحواس.

-تجعل التربية ذات طابع ذاتي، حيث تتيح التعلم الذاتي لكل متعلم.

-تطوير المناهج التربوية بحيث تصبح قادرة على استيعاب التطور التكنولوجيا الحديث وإدخال مفاهيم جديدة في التعليم.

-تستطيع تكنولوجيا التعليم إرساء قيام العملية التعليمية على أسس علمية. [13]

بهذا فأصبح ينظر الى تكنولوجيا التربية أو التعليم على أنها منهجية منظمة في تصميم وتخطيط وتنفيذ وتقويم كامل العملية التعليمية التعلمية.

تنمية رأس المال البشري:

بدأ اهتمام العلماء في أواخر القرن العشرين بصفة خاصة بالتركيز على القوى العاملة كأحد العوامل الأساسية لموارد الإنتاج، واعتمادها بشكل كبير على أنواع معينة من الكوادر العاملة والمدربة والمتعلمة والتي تعتمد على التعليم التكنولوجي، لذا نلاحظ حرص شولتز كممثل لأصحاب نظرية رأس المال البشري،أن يحلل العلاقة بين التربية والتعليم والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ولا سيما في الدول النامية.

فركز على زيادة النفقات على قطاع التربية الذي لا يقل أهمية عن القطاعات الصناعية الإنتاجية؛ وحرص أصحاب النظرية على عقد المقارنات بين المستويات الاقتصادية للدول النامية وذلك باستخدام مقياس ومحرك التعليم، والمقارنة بين السياسات الاقتصادية والسياسات التربوية؛ واعتبر شولتز التعليم هو رأس المال البشري الذي يؤدي الى التنمية الاقتصادية في الدول النامية، وخير مثال على هذا اليابان فرغم افتقارها للموارد الطبيعية والاقتصادية إلا أن لديها رأس مال بشري يعد إنتاجا كبيرا. (14)

المدرسة مؤسسة للتربية والتعليم من ناحية ومؤسسة لإنتاج رأس المال البشري من جهة أخرى،وعلى ضوء هذه الخلفية النظرية طرحنا تساؤلات هذه الدراسة قصد التأكد منها على أرض الواقع:

جدول يبين أبعاد أو مؤشرات مدرسة المستقبل في وثيقة القانون التوجيهي:

الفكرة	تناولية الفكرة	الوجود الكلى للفكرة	نسبة الوجود%
مجتمع المعرفة	– تنمية واكتساب المعرفة – نوعية وكمية المعرفة	15	30
تكنولوجيا التعلم	– الوسائل التعليمية الحديثة – المعلوماتية – الثقافة العلمية والتكنولوجية	17	34
الرأس المال البشري	– تنمية رأس المال البشري – تكوين الموارد البشرية – تكوين وتأهيل مواطن	18	36
المجموع		50	100

استنادا لما جاء في البيانات الكمية للجدول ومع الدخول إلى محتوى الوثيقة.

باعتبار المدرسة مؤسسة تعليمية تربوية، تعنى ببناء المتعلمين بناء شاملا وتهدف إلى ترجمة غاية التعليم وأهدافه إلى سلوك وقيم تربوية واجتماعية يجب أن يكون لها دورها الريادي في خدمة الفرد والمجتمع والتواصل معه فيما يحقق التقدم والتطور لكلا من الفرد والمجتمع وهذا عن طريق اكتساب وتكوين التلميذ وفق قواعد

وأسس علمية حديثة ذات مستوى عالي تجعل التلميذ في علاقة متواصلة مع ما يجري خارج محيطه الداخلي وذلك ببناء شخصيته وتعليمه وإعداده ليكون مواطن المستقبل الفعال، ونتيجة لهذه الاعتبارات أكدت المدرسة الجزائرية ومن خلال هذه الوثيقة أن إصلاح المدرسة الجزائرية هو أمرا ضروريا، سواء بسبب الوضعية الحالية للمدرسة الجزائرية أو بسبب التحولات الحديثة المسجلة في مختلف الميادين على الصعيد العالمي.[15]

حيث أصبحت المدارس تبنى على أسس حديثة وعالمية، يشترط فيها أسس ومقاييس عالمية حتى يمكننا أن نقول عنها أنها مدرسة مستقبلية تكون رجال قادرون على الاندماج والتواصل مع كل أجناس العالم في المستقبل وذلك بامتلاكهم لأدوات وآليات الاستغراق العالمي والتي سبق وأن حددناها، بالإضافة إلى أنها عينة الدراسة (القانون التوجيهي) قد تضمن بعض الشروط والمقاييس التي يجب أن تتوفر في مدرسة المستقبل أهمها:

❖ ***مجتمع المعرفة:***

كمفهوم حديث وعالمي يهدف إلى اكتساب وتنمية مجموعة معارف معينة للتلميذ وفق كل مرحلة ، حيث اهتم المشرع التربوي ضمن هذه الوثيقة بهذه الفكرة بنسبة 30 % من مجموع شروط تكوين مدرسة المستقبل ، حيث كانت الغاية الثالثة من غايات التربية في هذه الوثيقة هي الاندماج في حركة الرقي العالمية وفي عالم يعرف تحولات عميقة تمس هيكلة وتنظيم المعرفة ، ذلك أن المدرسة الحديثة متوجهة للمستقبل هي المؤسسة القادرة علـى :

- – الاندماج في عالم تحكمه تغيرات مجتمع المعرفة، ومجتمع المعلومات والاتصالات والثورة العلمية والتكنولوجية.
- – التفتح على العالم في صيغة علاقات ثقافية ومبادلات بشرية مع مجتمعات المعرفة وهذا يتطلب من المدرسة الجزائرية وفق ما جاء في هذه الوثيقة .

❖ – **منح التلاميذ ثقافة علمية وتكنولوجية حقيقية:** وهي النقطة الثانية التي وجب توفرها في المدرسة الحديثة ، حيث أن الرهانات العلمية والتكنولوجية التي يتعين على بلادنا مواجهتها مرهونة برفع نوعية الأداءات التقنية التي توفرها المدرسة ، وعليه فإن التعليم العلمي والتكنولوجي سيحظى بعناية خاصة بفعل انعكاسات وشروط التكوين الرجل المعاصر ، وتقدم المجتمع ذلك أن هذا التعليم وهذه الكفاءة (التكنولوجية الحديثة) لا يتوقف اكتسابها عند إيصال معارف ومهارات محددة في مواد معينة بل يهدف إلى اكتساب الكفاءات التي ستسمح للأفراد بإيجاد الاستعمالات المتنوعة للمعارف العلمية في حياتهم المدرسية والاجتماعية والمهنية أيضا.[16]

إن تحضير التلاميذ للعيش في عالم تكون فيه كل الأنشطة معنية بتكنولوجيات الإعلام والاتصال كانت من بين الأهداف المسطرة في هذه الوثيقة إن شكل وحسب هذه الأخيرة التكنولوجيات أحد العناصر

الكبرى للعشريات المقبلة ، حيث تشكل التكنولوجية العلمية في التعليم خيارا إستراتيجيا في مشروع مدرسة الغد ، والتحكم في هذه التكنولوجيات يعد أحد الوسائل الناجعة لتحضير الأجيال الجديدة لمواجهة المستقبل ورفع التحديات الكبرى التي يحملها في طياته.

لقد شكلت هذه الفكرة ضمن عناصر إحداث مدرسة المستقبل 34 % من مجموع الأفكار ، حيث أكدت نصوص هذه الوثيقة على ضرورة إدراج الوسائل العلمية المتطورة والتقنيات الحديثة ذات الطبيعة التكنولوجية في صيرورة التعلم منذ السنوات الأولى للمسار الدراسي ، وهذا يرمي حسب نفس المصدر إلى تسهيل عملية اكتساب المعرفة وتنمية استقلالية المتعلمين في البحث عن المعلومة ومعالجتها واستغلالها وإيجاد الحلول للمشاكل التي تطرح عليهم،[17] إذ نجد أن هذه الوثيقة قد ربطت بين كفاءة التحكم في التكنولوجيا الحديثة وبين عملية اكتساب وتنمية المعرفة الجيدة الهادفة .

إن عالم اليوم وعالم الغد هو عالم التكنولوجيا المتقدمة عالم سريع التغير والتقدم يمكن تقديم التكنولوجيا الحديثة لأجيال هذه الأمة في المناهج المدرسية وأيضا في الوضعيات التي نبدعها أثناء عملية التعليم [18]، ومن هنا على المدرسة الجزائرية أن تضع في خططها التربوية والتعليمية الإستراتيجيات التي تؤهلها لتلحق بركب التطور والتقدم لكي تنتقل من مجرد المتلقي إلى المبدع والمنتج لهذه التكنولوجية.[19]

هذا إن استفادت من الثورة التقنية والتكنولوجية في مؤسساتها التربوية والتعليمية سواء في اختيار وتخطيط وبناء المناهج الدراسية محتواها وأساليبها ، أو في طرق التقويم والاختبار وغيرها من العمليات داخل المدرسة.[20]

3- ***إنتاج وتنمية رأس المال البشري :***

إن إحدى الأهداف التي تسطرها المدرسة الحديثة والتي تسعى إلى تحقيقها هي تكوين وتثمين وترقية الموارد البشرية ، وهي الثروة الكبيرة التي تكونها وتعلمها المدرسة في شكل المتعلمين ، كون الإنسان هو ركيزة التقدم والرقي الحضاري ، لذلك فإن قضية بناء الشخصية الإنسانية في أي مجتمع من المجتمعات البشرية كانت ولا تزال الاهتمام الأساسي والأول لكل الهيئات والمؤسسات الرسمية بداية من المدرسة .

الجزائر كدولة تنشد التقدم والتطور أصبحت تشكل تنمية الموارد البشرية رهانا إستراتيجيا هاما وعاملا أساسيا في المواجهات التي ترسم التوازنات الجديدة والمسعى الجيو سياسي العالمي الجديد [21]،خاصة بطغيان عالم العولمة وثورة وسائل النقل والاتصال والنمو السريع للحضارة التقنية والمعلوماتية ، من ثم أصبح الاستثمار المادة البشرية والمعرفة يفرض نفسه ذلك وعلى حسب ما جاء في هذه الوثيقة .

إن هذه التحولات العالمية المرفقة دائما بالتحديات التي يواجهها مجتمعا خاصة فئة الشباب والمراهقين ، كانت تتطلب بالدرجة الأولى تكوين مكثف مخطط للموارد البشرية ، فبالنسبة للجزائر التي تصبوا إلى بلوغ مستوى الدول المتقدمة ، إن نوعية الموارد البشرية تفرض نفسها كرهان إستراتيجي عامل حاسم لتلبية حاجيات التنمية المستدامة للبلاد [22]، والتفتح على المنافسة الدولية التي تتميز وتتطلب الأداء الجيد والفعالية ، لذلك على المدرسة الجزائرية أن تسعى إلى تحسين وتأهيل مواردها البشرية كرأس مال بشري دائما وثابت ، وذلك طبقا للمعايير الدولية ، بتكوين إطارات كفئة ومبدعة ومهيأة للمنافسة على أساس الجهد وروح المبادرة والاستحقاق ، ولتحقيق هذا الهدف جاء في القانون التوجيهي للتربية بأن المدرسة الجزائرية ستركز مجهوداتها على نوعية التعليمات الكمية فقط ، كما ستركز على رفع مردود التربية ، من خلال تكوين وتأهيل كفاءات مهنية يمكنها الاندماج المهني في أي مكان وضمن أي مجتمع .

كذلك على المدرسة الجزائرية الحديثة أن تكون ملامح التلاميذ الذين لهم فكر سليم وأن تتوافق مع الطلب الاجتماعي الذي أصبحت شروطه تشتد أكثر فأكثر ، أيضا ينبغي التركيز على المقاربات التي تتيح النمو المتكامل للمتعلم .

إن هذه المقاربات المبنية على تطبيق أنساق التحليل، وحل المشاكل وبناء المعارف المهيكلة تستمد من السنوات الأولى للمدرسة. [23]كما أنها ستتواصل تتعزز مدى الحياة لصقل جزائري الغد.

ذلك الفرد المستقل والمواطن المتشرب للقيمة الاجتماعية، العامل المسلح لمواجهة الحياة ، والمتمكن من تحليل المعطيات المركبة وحوصلتها ، يعد ذلك لإيجاد الحلول وتطوير نفسه وبالتالي مجتمعه ووطنه عامة، ذلك أن التقدم والرقي الحضاري التي نراها اليوم في كل دول العالم المتقدم ،هي نتاج طبيعي للتقدم الكبير الذي أحرزته هذه الدول في مجال تنمية ثرواتها البشرية عن طريق التعليم والتكوين والتأهيل المتطور والحديث ، مما أدى إلى توليد قوى بشرية على مستوى عالي من الكفاءة في كافة المجالات .

وغني عن البيان أن التربية هي الوسيلة الوحيدة الفعالة لإقامة بناء بشري قوي ناضج متشبع لكل صنوف المعرفة والتعلم ، بناء يمكنه إقامة نهضة حضارية للمجتمع البشري ولعل من أبرز الأمثلة التي يمكن أن تذكر في هذا الشأن المجتمع الياباني والذي حقق نهضة كبرى عن طريق ثروته البشرية ، التي أذهلت ولا تزال تذهل العالم [24]

إن مدرسة المستقبل كمفهوم حديث، وهدف ينبغي العمل على تحقيقه كمشروع تربوي يطمح لبناء نموذج لمدرسة حديثة تستمد رسالتها من الإيمان بأن قدرة المجتمعات على النهوض وتحقيق التنمية الشاملة، معتمدا على جودة إعداد بنائها التربوي والتعليمي. هي طموح كل أمة ، بل هي ضرورة وشرط على كل دولة أن تحققه في مدارسها كون مدرسة المستقبل ،هي مدرسة تعد المتعلمين فيها لحياة عملية ناجحة مع تركيزها على الماهرات الأساسية والعصرية بما يخدم الجانب التربوي والتعليمي وألقيمي لدى المتعلمين.[25]

الخلاصة:

إن المدرسة كمؤسسة تعليمية اجتماعية ومنبرا مشعا للعلم، وبيئة تربوية تساهم في تكوين وتنمية الشخصية الإنسانية، وكمكان مفضل لازدهار كل فرد؛ وجب عليها أن تقوم بدور ريادي حتى تتيح لكل فرد متمدرس جميع فرص التحكم الحديث والمتقدم المبني وعلى أساسيات متقدمة ومتحضرة، وبهذا فهي توفر فرص التقدم والتطور لتصنع منه رجل المستقبل.

غير أن المدرسة الحديثة اليوم لا يقف دورها عند التعليم المتقدم والممنهج فقط بل عليها تعمل على تمكين المتعلم من امتلاك كفاءات وقدرات تساعده على التكيف والاندماج في هذه الحياة وهذا العصر عصر التطورات والتكنولوجيات استعاب متغيرات العصر وتحديات المستقبل؛ وكل هذا يتطلب جملة من الشروط التي يجب أن تبنى عليها هاته المدرسة، حيث يشارك في العمل التربوي مجموعة من العناصر والأطراف متمثلة في القائد التربوي للمدرسة بحيث يكون واعي ومدرك للدور المنوط بمدرسة اليوم في ضوء التكتلات التكنولوجية والتدفق المعرفي المتراكم، بالإضافة إلى المعلم الناجح والمؤمن والمقدر لمهنته، والمرن والمتمكن من الأساليب الحديثة للتربية.دون أن ننسى الدور الذي تلعبه الأسرة في إنتاج هذه المدرسة، بحيث تكون في علاقة دائمة مع المدرسة من أجل تنسيق العمل التربوي لجعل المتعلم تواصل وتوافق يمكنه من الاندماج والتكيف الاجتماعي؛ ولكن تبقى مدرسة المستقبل مشروع نموذجي تحقيقه نسبي ومختلف، لكنه قابل للتطبيق.

هذا ما تسعى الدول المتقدمة لإيجاده وتحقيقه، بما فيها الدول النامية والسائرة في طريق النمو؛ والجزائر واحدة من بينها حيث أسفرت هذه الدراسة على النية الحسنة والسعي الدؤوب للوصول إلى أفضل النتائج، وتجسيد بما يعرف بمدرسة المستقبل على أرض الواقع.

الهوامش:

(01)–وزارة التربية الوطنية،**القانون التوجيهي للتربية،فيفري2008.**

(02)–تركي رابح، **أصول التربية والتعليم**.المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2،الجزائر،1990،ص–ص:186–189.

(03)–مصباح عامر , **التنشئة الاجتماعية والسلوك ألانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية**. دارالأمة،الجزائر،2003، ص:110.

(04)–مراد زعيمي، **مؤسسات التنشئة الاجتماعية**، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ، 2002، ص: 139.

(05)–إبراهيم حامد الاسطل، فريال يونس الخالدي، **مهنة التعليم وأدوار المعلم في مدرسة المستقبل**. دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية،2005، ص: 133.

(06)–المرجع السابق، ص: 53.

(07)–المرجع السابق، ص: 53

(08)–عبد العاطي السيد، **علم اجتماع المعرفة**. دار المعرفة الجامعية، مصر،2000، ص: 4.

(09)–المرجع السابق، ص ص:7–17.

(10)–عبد الستار العلى، وآخرون، **المدخل إلى إدارة المعرفة** . دار المسيرة، عمان الأردن،2006،ص:27.

(11)–محمد عبد الرحيم عدس،**المدرسة وتعليم التفكير**.دار الفكر، عمان، الأردن،2000،ص–ص :97–99.
(12) –عبد الله الفرا،**المدخل إلى تكنولوجيا التعليم**. مكتبة دار الثقافة، ، الأردن،1999،ص–ص:125–126.
(13)–المرجع السابق، ص–ص:130–131.
(14)–عبد الله محمد عبد الرحمن، **علم اجتماع التربية الحديث** . دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،مصر،1998،ص–ص:191–195.
(15)–وزارة التربية الوطنية مرجع سابق،ص:11.
(16)–وزارة التربية الوطنية مرجع سابق،ص:12.
(17)–وزارة التربية الوطنية مرجع سابق،ص:19.
(18)–www.amnohe.com/
(19)–وزارة التربية الوطنية مرجع سابق،ص:20.
(20)– المرجع السابق،ص:22.
(21)– المرجع السابق،ص:22.
(22)– المرجع السابق،ص:24.
(23)– مصطفى محسن، **الخطاب الإصلاحي التربوي بين أسئلة الأزمة وتحديات التحول الحضاري**.المركز الثقافي العربي،بيروت، لبنان،1999،ص:52.
(24)– //www.mtess.gov.
(25) – //www.google.com